باب الزراعة

الزراعة المصرية

في عهد الاحتلال الفرنسوي

وضع المسيو جيرار الذي كان رئيساً لمندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية وعضواً في الاكاديمية العلمية الملكية وفي الجمعية الجغرافية المصرية كتاباً في هذا الموضوع . وهو يقع في ٢٢٤ صفحة كبيرة مملوءة بالفوائد الزراعية والتجارية والصناعية مما يعزّ الوقوف عليه في غيره . ويبدأه بوصف رحلته في النيل وبيان الغاية منها فقال

تمهيد

عهد اليّ على اثر احتلال الجيش الفرنسوي لمديريات القطر المصري بركوب النيل حتى الشلال الاول للبحث عن تأثيره في خصب البلاد وجمع ما يتيسر لي من المواد والمعلومات اللازمة لتنظيم الري بمقتضى رسم عام يعمل لذلك

فبرحت القاهرة في ١٩ مارس سنة ١٧٩٩ مصحوباً ببعض اعضاء لجنة الصناعة . وفي اثناء سفرنا وجّه كل منا عنايته الى ما يلائم ذوقه الخاص من الابحاث . اما انا فكانت غايتي الجلّى تحسين البلاد وتوطئة لذلك لم ار بدّاً من الوقوف على حالتها الحاضرة والإحاطة بالمنافع التي تعود عليها من الزراعة والصناعة والتجارة . فوجدت امامي متسعاً للبحث في هذه الشؤون وجمعت من المواد والمعلومات فوق ما كنت ارجو نيله

ابتدأت من اول يوم سافرنا فيه بتدوين ما يتصل بي من المعلومات التي كنت اتلقاها تارةً من مشايخ القرى الذين كنت استدعيهم اليّ لهذه الغاية وطوراً من المزارعين الذين كنت التقي بهم في تجوالي وادعوهم الى مركبنا

ولم يكن على المترجم الذي استصحبناه الاّ اعادة الاسئلة على من كنت القيها عليهم في اوقات مختلفة فتمكن سريعاً من استيعاب جوهر اجوبتهم وترجمته ولذلك فاذا عرض لي الشك بصحة المعلومات فاني على يقين من صحة نقلها اليّ

وعند وصولنا الى اسيوط كانت عساكر الجنرال دسكس لم تتمكن بعدُ من احتلال جميع اعالي الصعيد فاقمنا في تلك المدينة من ٢٨ مارس الى ١٨ مايو وشهدت في هذه المدة طريقة الحصاد وتمكنت من مشافهة الزارعين في ما يختص بالزراعة ومقتضياتها في جميع فصول السنة ومن ثمَّ توجهنا الى قنا برًّا متتبعين ضفة النيل اليسرى فبلغناها في ٢٥ مايو . ومن حسن الحظ التقيت هناك بالجنرال بليار الذي كان متوليًا امر تلك المديرية فوجدتهُ على اهبة السفر وقد اعدَّ حملة عسكريَّة للاستيلاء على ميناء القصير . فسنحت لي بذلك فرصة موافقة طالما تمنيتها للوقوف على دخائل الصحراء التي تفصل وادي النيل عن البحر الاحمر ولمعرفة ما انا في احتياج اليهِ من احوال التجارة المتداولة على ذلك الطريق بين مصر وبلاد العرب . وفي اليوم التالي صحبت هذه الحملة الى القصير حيث رفعت حامية فرنسوية وعدنا في ١٤ يونيو . ومكثنا في قنا الى ٢٦ منهُ فاتسع لي الوقت للبحث والتثبُّت مما كنت قد علمتهُ عن الاهالي والمحصولات الزراعيَّة واضفت الى معلوماتي ما علمتهُ عن تلك الجهة . ومن ثمَّ سرنا برًّا على ضفة النيل اليمنى حتى انتهينا الى اسنا في ٣٠ منهُ فلم اجد فيها ما يختلف عما كنت قد علمتهُ اثناء اقامتنا في اسيوط وقنا وبعد ان مكثنا فيها ستة ايام رحلنا عنها في ٩ يوليو يممين الشلال الاول فبلغنا اصوان في ١٢ منهُ وقفلنا عنها راجعين في ٢٦ فوصلنا في ٣٠ الى اسنا حيث اقمنا ايضًا عشرة ايام وغادرناها لمشاهدة سهل طيبة فبلغناهُ في ١١ اغسطس ونزلنا على الضفة اليسرى وامضينا اليوم التالي على الشاطئ المقابل واقمنا في الاقصر حتى ٢٩ منهُ فعدنا الى اسنا حيث رجعنا ايضًا الى ١٤ سبتمبر وبذلك تكون قد امضينا فيها ٢٥ يومًا في ثلاث مرات مختلفة . وفي عودتنا لم اعرّج على قنا لاني كنت قد قضيت لبانتي منها فتوجهت برًّا الى دندرية حرجا التي كنت تخطيتها في ذهابنا مع ما لها من الاهمية في الصعيد واقمت فيها من ١٢ الى ٢٠ سبتمبر وبعد ذلك امضيت ثلاثة ايام في اخميم ورحلتُ عنها الى اسيوط فبلغتها في ٢٥ سبتمبر سنة ١٧٩٩ وكانت مياه الفيضان قد اخذت في الانحسار فشهدت الناس يزرعون

وفي ذلك الحين كان الجنرال دسكس قد اتخذ مدينة اسيوط مركزًا لهُ ليشرف على حركات مراد بك . فحمل عليهِ في اول اكتوبر واوغل في مطاردتهِ في الصحراء الى ما وراء الفيوم متتبعًا الضفة اليسرى من بحر يوسف . فصحبتهُ في هذه الغارة بقصد تفقد احوال الفيوم ولكنهُ تلقى بعد ذلك بعشرة ايام خبر عودة القائد العام الى فرنسا وامرًا برجوعهِ هو الى القاهرة فاضطرتني الحال الى العدول عن زيارة الفيوم . وسافرنا حالاً الى المنيا ومن هناك

افقنا في النيل في ١٤ اكتوبر فعدت الى القاهرة في ١٦ منهُ بعد غياب سبعة اشهر

وكان الجنرال كليبر الذي كان قائدَ الجيش قد غيَّر نظام اعمال الجمعية الجغرافية المصرية ونظام لجنة الصنائع وعيَّن عدة لجان أُخر عهد اليها بمراجعة جميع ما كتب مما يلمح فيه النفع وضممت انا الى لجان الزراعة والتجارة فقضيت جانباً من شهري نوفمبر ودسمبر في ترتيب المواد والمعلومات التي كنت قد استحصلت عليها من الصعيد لعرضها على اللجان التي صرت احد اعضائها . وفي اثناء هذين الشهرين زرت الاهرام وسقّارة حيث امضيت عدة ايام ووطدت علاقاتي مع مشاهير تجار القاهرة من نصارى ومسلمين تهيأ لي الحصول على المعلومات التي سترد في ذيل هذا التقرير في الباب الذي افردتهُ لتجارة مصر الحالية

وفي ٢٤ دسمبر سنة ١٧٩٩ سنحت لي فرصة موافقة لاكتشاف احوال الطريق الموصل بين القاهرة والسويس مجتازاً وادي التيه . فوصلت الى السويس في ٢٨ منهُ بعد مسير اربعة ايام واقمت فيها الى ٣٢ يناير سنة ١٨٠٠ وظفرت بفوائد جمة اضفتها الى ما كنت قد عملتهُ عن تجارة مصر مع بلاد العرب . وعدت الى القاهرة من اقصر طريق وهو الذي يمرّ بين المقطم وبركة الحاجّ فبلغتها في ٢٤ منهُ

وفي تلك المدة كانت الجنود العثمانية تتهدد مصر ولم تبطئ ان هاجمتها وكان من الضروري اعادة القتال ونيل الظفر الذي فصل فيه الخطاب بموقعة عين شمس

وكنت في ذلك الحين منذ حدوث تلك الموقعة الى ان تمكنت الجنود الفرنساوية من العود للاستيلاء على الصعيد مقيماً في الجيزة فانكببت على تمحيص الاخبار والمعلومات التي استحصلت عليها مما يختص بالزراعة في ضواحي القاهرة

وفي ١٠ مايو سافرت الحملة الجديدة الى الصعيد فصحبت الجنرال زيونشك الذي عين قومندانًا لمديريتي بني سويف والفيوم . فتبعت المشاة على ضفة النيل اليسرى ووصلنا الى بني سويف في ١٣ منهُ . فتمكنت في اثناء سيرنا البطيء من الحصول على معلومات جديدة عن زراعة البلاد التي اجتزناها . وبعدما زرت الجنرال زيونشك ثلاثة ايام افترقت عنهُ لتفقد احوال مديريَّة الفيوم فتجولت فيها مصحوباً بقائد الجند الذي كان قد تولَّى امر الضرائب على تلك المديرية فاقمت فيها من ١٧ مايو الى ٢٣ يونيو وعدت الى القاهرة وكان الجنرال كليبر القائد العام قد قتل في ١٤ يونيو وانتقلت القيادة الى عنبرو . فاقمت في القاهرة نحواً من خمسة اشهر اتحيَّن الفرص لتفقد احوال مصر السفلى (الوجه البحري)

وكان فيضان هذه السنة بالغاً حدَّهُ فبت اترقب انكشاف الاراضي لتجولان في الوجه

البحري واخيرًا سافرت في ١٠ دسمبر الى طنطا ومنها الى مديرية المنوفية ووصلت الى فرع النيل الذي يعرّج على رشيد مقابل الرحمانية ومن ثمّ توجهت شرقًا الى سمنود على فرع دمياط مارًّا بالمحلة الكبيرة

وتركت سمنود في ٣١ دسمبر متجهًا في ترعة النعمانية التي تصبّ في بحيرة البرلّس . فاجتزت هذه البحيرة ليلاً ووصلت الى بلتيم وهي اهم القرى المبنيّة على اللسان الفاصل بين هذه البحيرة والبحر المتوسط

وفي ٢ يناير سنة ١٩٠٩ استأنفت السفر متتبعًا شاطئ البحيرة الى ان انتهيت الى قرية روس على الضفة اليمنى من النيل مقابل مدينة رشيد . وكان الجنرال زيونشك قومندانًا على هذه المدينة فاقمت معهُ الى ٩ منهُ فبذل وسعهُ في مساعدتي على نحو ما فعلهُ في الفيوم . ثمّ عدت فعبرت النيل عند مصبهِ وتتبعت شاطئ البحر على مسير يومين الى ان انتهيت الى بوغاز البرلّس وهو المصب الرئيسي لمياه بحيرة البرلّس . ومن هناك ذهبت الى دمياط فوصلتها في ١٣ يناير بعد سفر ثلاثة ايام وكانت هذه المرة الثانية التي زرت فيها دمياط لاني كنت قد تفقدتها منذ سنتين وحدث لي ما اضطرني الى البقاء فيها مدة شهرين . فاكملت هذه المدة ما كنت قد بدأت بهِ من التعرف باحوال التجارة مع سوريا ووقفت على احوال زراعتها الخاصة . فاقمت فيها الى ١٨ منهُ وانتقلت الى المنزلة وهي قرية كبيرة تسمى باسمها البحيرة التي تغطي الجهة الشرقية من الدلتا . ثم تفقدت مصايد السمك في المطرية وفي ٢٣ منهُ اقلعت في ترعة اشمون الى المنصورة فدخلتها في ٢٥ منهُ وخرجت منها في ٢٧ منهُ قاصدًا صان فالصالحية ووصلتها في ٣٠ منهُ وغادرتها في اول فبراير الى بلبيس فالقاهرة فانتهيت اليها في ٤ منهُ

ولم يمضِ على عودتي زمن يسير حتى ترقفت الاعمال الحربيّة وكان لا بد من انضمامي الى احد اقسام الجيش فبقيت في القسم الذي كان بقيادة بليار حتى اجلينا عن القطر المصري فتركنا ابا قير في اوائل شهر اغسطس

فيرى جليًّا مما تقدم اني تابعت البحث في جميع مديريات القطر المصري ووفّيت هذا البحث الجليل ما يستحقهُ من العناية والدقة في البحث والتنقيب فتمت بمهمتي الخاصة وهي الوقوف على احوال الزراعة والتجارة والصناعة كما يرى ذلك مفصلاً في الابواب التالية

(ا)

مساحة الاراضي المزروعة — الري — وسائط الري الصناعية

يجتاز النيل في جريه شمالاً من اسوان الى القاهرة نحو الف كيلو متر . فيجري في وادٍ عرضهُ نحو ثلاثة فراسخ [1] محصور بين سلسلتي جبال تمتد احداها شرقاً الى البحر الاحمر وتنتهي الاخرى عند حدود صحراء ليبيا . وتتفرق هاتان السلسلتان تحت القاهرة فتنعطف الاولى الى جهة البحر الاحمر وتمتد الثانية الى الشمال الغربي حتى البحر المتوسط

والارض بين هاتين السلسلتين وبرزخ السويس مكونة من رواسب النيل اذ كان يخترقها في اماكن مختلفة تبعاً للطوارىء التي كانت تطرأ على مسيله فتغير جهة جريه . فاذا ضممنا هذه الارض المتسعة الاطراف الى اراضي مديرية الفيوم والاراضي الواقعة في نفس وادي النيل الضيق المتقدم ذكرهُ يتكون من ذلك مجموع الاراضي الصالحة للزراعة في القطر المصري وساحتها نحو مليونين ومائة الف هكتار (اي نحو خمسة ملايين فدان)

اما التربة فمؤلفة من طبقة سطحية مكسوة بطينة دكناء وتحتها طبقات رملية مختلفة الكثافة يرشح من خلالها ماء النيل والمياه التي تغطيها ايان الفيضان

فبلاد كهذه واقعة بين الدرجة ٢٤ و ٣١ من العرض حيث لا يقع المطر الاَّ نادراً لا يتأتى احصابها الاَّ بان تسقى مباشرةً بماء النيل صيفاً (بالراحة) او بآلات

ويشتدُّ ارتفاع النيل في المدار الصيفي فيبلغ اشدَّهُ في الاعتدال الخريفي ويعود الى الانخفاض تدريجاً حتى المدار الصيفي من السنة التالية . فيكون زمان ارتفاعهِ ثلاثة اشهر وانخفاضهِ تسعة اشهر . وفي زمن التحاريق يكون علوّ الاراضي التي ينحسر عنها الماء من ٨ الى ١٠ امتار فوق سطح الماء في جهات الصعيد ومن ٤ الى ٥ امتار في ضواحي القاهرة ومترًا واحداً فقط عند مصب فرعي رشيد ودمياط

وبعد شهرين من ابتداء الفيضان اي بين ٢٠ و ٢٥ اغسطس تقطع السدود التي تكون قد اقيمت على رؤوس الترع على جانبي النيل

وهذه الترع تتجه في الصعيد منحرفة نحو سلسلتي الجبال المجاورة لوادي النيل حتى تصل الى سفحها فتمتد اذ ذاك متوازيةً الى الصحراء . وهناك يعترض سيرها سدود تسترقف المياه فترتفع وتنشىء جزءاً من الاراضي التي على جانبيها وكلما زاد النيل ارتفاعاً علت المياه في هذه الترع وزادت مساحة الاراضي التي تغطيها

(١) نحو ١٢ كيلو متراً

وعندما يبلغ ارتفاع الماء معظمهُ يقطع السد الحاجز فتجاوزهُ المياه جارية من تلقاء نفسها على حدود الصحراء الى ان تلتقي بسد آخر فتجتمع وترتفع وتطغى على الاراضي المحصورة بين السدين . ثم يقطع السد الثاني فتجري المياه حتى يستوقفها سد ثالث. وهكذا الى ان تغطي جميع الاراضي الواقعة على ضفتي النيل بماء الحياض التي تتكون من تعاقب السدود عليها في هذه الترع . وتؤخذ المياه ايضاً على ابعاد مختلفة من النيل بواسطة نوع خاصة تسقي ما لا تصل اليهِ مياه الحياض فتزيد بذلك مساحة الاراضي التي يغمرها الماء

وثلاثياً لانحسار المياه عن الاراضي المغمورة بها ورجوعها الى النيل يقام على شاطئيهِ سدود اخرى تدعى جسوراً فتستخدم ايضاً للمرور عليها اثناء الفيضان اذ تكون الاراضي مغطاة بالمياه التي كثيراً ما يزيد ارتفاعها عن مساواة سطح النيل . فيرى من ذلك ان نظام الري هذا يقوم بانشاء حياض متتابعة اثناء الفيضان يرتفع بعضها عن بعض تدريجاً فيسقى بها ما لا يتأتى سقيهُ من النيل مباشرةً

ولذلك فتحسين نظام الري في القطر المصري لا يتوقف على تعميق الترع بمقدار مايتوقف على حفظ السدود المعترضة

اما الجسور التي تمتد غالباً من بلدة الى اخرى وتستخدم للمواصلات اثناء الفيضان فيمتني بها اهالي البلاد . ولما كانت مصنوعة من التراب مما يجعلها عرضةً لان تخترقها المياه او تقطعها اذا هاجتها الرياح كان لا بد للاهالي من تقويتها بالحصر وما اشبه يعضدونها بنصائب خشبيةٍ يغرزونها عمودية عليها

وتستخدم هذه الطريقة من الري في الوجه البحري على النحو الذي وصفناهُ في الصعيد فيرى من ذلك ان مساحة الاراضي التي تغمرها المياه تتوقف اولاً على ارتفاع الفيضان وثانياً على المدة التي يسمح بها لبقاء المياه في الحياض . وبما ان الاراضي الواقعة تحت الحياض تبقى بدون ري حتى تفتح السدود وتأتيها المياه من الاحواض التي فوقها فتأخير فتحها يضرُّ بالبلاد السفلى ويفقدها جميع الامتيازات التي تتمتع بها البلاد العليا بقاء المياه على اراضيها زمناً طويلاً . وكثيراً ما ادى تضارب المصالح من هذا القبيل الى خصومات دموية كانت عيوب البوليس تزيدها عدًّا حتى استحكم العداء بين اهالي بعض القرى المتجاورة منذ زمن لا يحيط بهِ التاريخ

ومعظم السدود التي تخترق مصر العليا وقلب الدلتا تقاطع طولاً بجسور (كباري) تبقى اعتيادياً من الطوب . وفي ذات قناطر عرض الواحدة منها نحو ثلاثة امتار والمسافة التي

بين وكن واخر منها مبنيّة ايضاً لتر الماء من فوقها بعد ان تكون قد مكثت مدة كافية على الاراضي الواقعة فوق هذه الجسور

وجميع الاراضي التي تروى بماء النيل منذ اول فتح الترع لغاية قطع السدود تزرع زرعاً خاصاً يطلق عليهِ اسم بياضي وهو ما لا يحتاج الى سقي حتى وقت جناهُ . اما ما يزرع في نفس الفصل في الاراضي التي لا تروى بماء النيل مطلقاً او تروى ريًّا ناقصاً فتحتاج معهُ الى استعمال الوسائط الصناعية فيسمى بالشتوي

وبعد استغلال الزرع البياضي او الشتوي يبدأ بزراعة الصيفي في زمن هبوط النيل فيلزم لريهِ عناء دائم يزيد مشقة كلما زاد النيل هبوطاً

وعند اول ارتفاع النيل وانتهاء الزراعة الصيفيَّة يبتدئ زرع الدميري وهو ما يزرع في الاراضي السفلى والنباري وهو ما يزرع في الاراضي العليا وكلما ارتفع النيل وزادت المياه في الترع خفّت مشقة الزراعة . وتعاقب الزراعة على هذا المنوال يؤدي الى تقسيم طبيعي للسنة عند سكان الريف في مصر . فيقسمها الى ثلاث مدد كل مدة منها ٤ اشهر . الاولى مدة زراعة البياضي او الشتوي والثانية مدة زراعة الصيفي والثالثة مدة زراعة الدميري او النباري في الخريف

وعند ما تكون الاراضي التي تزرع في المدتين الثانية والثالثة مجاورة للنيل او الترع تسقيها الانفار بالدلو او بالشادوف . وبمدة الزراعة الصيفيَّة تسقي اراضي الصعيد من ثلاثة مواقف متتابعة في كل منها نفران يتعاقبان على انتشال المياه بالدلو . اما في زمن زراعة النباري فلا يستخدم الاَّ نفران في موقف واحد

اما الاراضي البعيدة عن النيل والترع فتروى بواسطة السواقي فيستخرج الماء من آبار تحفر لهذه الغاية بواسطة جبل محبوك الطرفين وقد نيط اليهِ اكواز من الفخار على مسافات متقاربة ولف على عجل تديرهُ الثيران

وفي الوجه البحري وخصوصاً في شمالي الدلتا حيث الآبار التي يحفرونها لليلة العمق يستعملون دواليب خشبيَّة عوضاً عن طريقة الحبل المحبوك الطرفين تعلق الاكواز على محيطها ويديرها الثيران او الجواميس

وقد سبق طبع اوصاف هذه الآلات على حدة فيكفي هنا القول بانها من ابسط الآلات وانسبها استعمالاً في هذه البلاد حيث اجرة الاعمال اليدوية رخيصة للغاية

وقد علمت من نتيجة التجارب التي عملها المهندس المسيو دويتنري ان العامل المصري

يمكنهُ ان يرفع بالدلو ٤٩ لترًا و٣٧ من الماء في الدقيقة على عمق مترين و ٨٨ سنتيمترًا وذلك اقل بكثير من قوة الرجل الاعتيادية كما تبين ذلك من الامتحانات التي اجريت في اوربا حيث اتضح ان العامل يمكنهُ ان يرفع في الدقيقة ٥٥ لترًا من الماء على علو ٤ امتار

وجرب المهندس المذكور قوة الساقية ذات الحبل المحبوك الطرفين فوجدها توازي تقريبًا خمسة اضعاف قوة الرفع بالدلو بواسطة نفر واحد . وعلى ذلك فيمكن لخمسة انفار فقط ان يقوموا بنفس العمل الذي يقتضي لهُ استخدام ثور واحد

الزراعة في البلاد العثمانية

ليس لدينا احصاء رسمي عن احوال الزراعة في البلاد العثمانية ولذلك يضطر الباحث في هذا الموضوع ان يعتمد على تقارير قناصل الدول الاوربية كما سيجيء

والذي نعلمهُ عن ثقة ان البلاد العثمانية كلها من اخصب البلدان وانهُ يجود فيها كل ما يمكن ان يجود في غيرها في الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة لانها جامعة بسهولها وجودها وجبالها بين هذه الاقاليم كلها ولكن نظام العشور فيها يغلُّ ايدي الفلاحين وقلَّة طرق المواصلات تمنع نقل الحاصلات فلا بدَّ لاصلاح الزراعة فيها من امرين جوهريين الاول ربط ضرائب محدودة على الاراضي او على الحاصلات ولا بأس بنظام العشور اذا لم يكن التزامًا بل روعي فيهِ العدل التام . والثاني تمهيد الطرق حتى تقل نفقات النقل . وهاتان المسألتان اصعب المسائل كلها ويجب الاهتمام بهما قبل الاهتمام بتنظيم الجيش وبناء البوارج لانهُ ان لم يصر دخل الحكومة العثمانية ثلاثين مليونًا او اربعين مليونًا من الجنيهات فمن العبث ان تهتم ببناء البوارج والبارجة الواحدة لا تبنى الآن بأقل من مليوني جنيه . ولا يتضاعف دخل الحكومة الاَّ اذا تضاعف دخل الاهالي

ولا نبالغ اذا قلنا ان دخل الحكومة يجب ان يبلغ ٤٠ مليونًا من الجنيهات وهو الآن اقل من ٢٠ مليونًا لان دخل حكومة ايطاليا ٨٠ مليونًا من الجنيهات وعدد سكانها نحو ٣٣ مليونًا من النفوس لا غير ودخل حكومة اسبانيا يبلغ ٤٠ مليونًا من الجنيهات وعدد سكانها اقل من عشرين مليونًا من النفوس . اما الحاصلات الزراعية التي وقفنا على احصائها في بعض الكتب الاوربية فهي ما يأتي

الخراج او الاحراش — في البلاد العثمانية ٢١ مليون فدان من الاحراش ٣ ½ منها في اوربا وما بقي في اسيا ومساحة الاحراش في انكلترا لا تزيد على ثلاثة ملايين فدان

وفي المانيا وهي من اوسع الممالك احراشاً تبلغ اقل من ٣٥ مليون فدان . وفي احراش البلاد العثمانية الصنوبر والشوح والشربين والسنديان والارز والجوز ونحو ذلك من الاشجار التي يستخرج منها خشب البناء والتجارة

الحبوب — يبلغ حاصل القمح سنوياً نحو مليوني طن وحاصل سائر الحبوب نحو ثلاثة ملايين طن ونصف اي ان قيمة غلة الحبوب السنوية نحو خمسين مليوناً من الجنيهات

الخمور — صنع فيها سنة ١٩٠٧ نحو ٦٢ مليون كيلو من الخمر ونحو ٩ ملايين كيلو من السيرتو و ٦ ملايين كيلو من البيرة

الحرير — بلغ موسم الشرانق في ولايتي بورصة واشميد وحدهما نحو سبعة ملايين كيلو سنة ١٩٠٧ . وقد صدر من البلاد العثمانية من الحرير سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ نحو ٣ ملايين ليرة عثمانية ومن العنب ما ثمنهُ مليونان و ٣٥٠ الف ليرة ومن الحبوب والدقيق ما ثمنهُ مليون و ٨٨٠ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنهُ ٩١٠ آلاف جنيه ومن التين ما ثمنهُ ٩٠٠ الف جنيه ومن البن ما ثمنهُ ٨٩٠ الف جنيه ومن الافيون ما ثمنهُ ٧٣٠ الف جنيه ومن الجلود ما ثمنهُ ٧٣٠ الف جنيه ومن قنوع البلوط ما ثمنهُ ٦٢٠ الف جنيه . وبلغت قيمة الصادرات كلها سنة ١٩٠٦ نحو عشرين مليوناً من الليرات واكثرها ان لم نقل كلها من الحاصلات الزراعية هذا عدا التبغ . اما التبغ فبلغ الصادر منهُ سنة ١٩٠٦ اكثر من ١٨ مليون كيلو فاذا حسبنا ثمن الكيلو ثمانية غروش فقط بلغ ثمن التبغ الصادر نحو مليون ونصف من الجنيهات

وقد بلغت قيمة الصادر الى القطر المصري فقط في العام الماضي من البلاد العثمانية مليونين و ٩٧٣ الف جنيه او نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية وكلها صادرات زراعية ولم يرد الى البلاد العثمانية من القطر المصري في العام الماضي الاَّ ما قيمتهُ نحو ٣٣٧ الف جنيه او اقل من قيمة التبغ الوارد الى القطر المصري من البلاد العثمانية لان قيمتهُ بلغت في العام الماضي نحو ٣٥٦ الف جنيه مصري او نحو نصف قيمة كل التبغ والشبك الواردين الى القطر المصري

الزراعة والعثمانيون المهاجرون

قابل حضرة صديقنا فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة ناظر الداخلية في بلاد كندا واستعلم منهُ عن اساليب تملك الاراضي الزراعية في تلك البلاد وحث اخوانهُ العثمانيين المهاجرين على السعي في امتلاك الارض واحيائها والاشتغال بالزراعة وحسنا

فعل ولكنهُ لو عرف حينئذٍ ان الامَّة العثمانية نالت ما كانت تصبو اليهِ وهو حكومة دستوريَّة ترجي ان تكون مثل حكومة كندا اهتماماً باصلاح بلادها لو عرف ذلك قبلاً قابل وزير كندا لعدل عن مقابلتهِ وبذل همتهُ في حث المهاجرين العثمانيين على الرجوع الى بلادهم وتعميرها

لقد جلنا في جهات مختلفة من ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا وبحثنا عن احوال الزراعة فيها وسمعنا شكاوي الفلاحين فرأينا ان البلاد العثمانية تفضل البلدان الاوربيَّة في جودة تربتها واعتدال حرها وبردها واوقات وقوع المطر فيها. امسكت السماء عن المطر شهرًا وبعض شهر في سويسرا في صيف سنة ١٩٠٠ فيبست المراعي وكادت المزروعات تتلف. وتواصلت الامطار في الصيف الماضي ببلاد الانكليز فتعذَّر على الناس حصد مزروعاتهم. وكم من مرة كانت تشرق الشمس في الصباح فيخرج الحاصدون ويشرعون في الحصاد وبعد اقل من ساعتين تغيم السماء وتقع المطر فكنا نراهم ينظرون الى جهات الافق يوجوه باسرة بعد ان كانت باشرة وعيون يكاد القنوط يزيل لألاءها ثم يرمون مناجلهم ويهرولون الى بيوتهم ولا نظن ان حال اهل الزراعة في كندا اصلح من ذلك لانهم تحت رحمة الاحداث الجوية من حر وبرد ومطر وثلج

ولا مشاحة في ان اكثر البلدان التي هاجر اليها العثمانيون في اميركا الشمالية والجنوبيَّة وافريقية واستراليا وجزائر البحر حكوماتها اصلح جدًّا من الحكومة العثمانية كما كانت في العهد الذي ختم في ٢٤ يوليو الماضي. والمنتظر الآن ان تصطلح حكومة البلاد العثمانية سريعاً حتى تضاهي اصلح الحكومات الاوربيَّة وحينئذٍ تزول الاسباب التي دعت العثمانيين الى المهاجرة والمرجح عندنا ان كثيرين منهم يرجعون الى بلادهم لانهم لا يجدون بلادًا اوفر منها خيرات فضلاً من ملاءمة هوائها لما الفوهُ هم واسلافهم من قبلهم. وعسى ان يعودوا اليها مكتسبين همة واختبارًا ليساعدوا المتبقين فيها على اصلاحها وابلاغها الدرجة التي تستحقها بين ممالك الارض الراقية

موسم القطن المصري

ثبت الآن ان الموسم الماضي الذي ينتهي الآن بلغ سبعة ملايين ونحو سدس مليون قنطار فناق ما كان ينتظر ولولا هبوط الاسعار الذي اصاب نصفهُ الاخير لافاق الخير على القطن المصري. اما الموسم المقبل فنموهُ جيد ولكن الدودة ظهرت في اماكن كثيرة من

الوجه البحري واضرّت ضررًا كبيرًا ولم تهتم الحكومة بابادتها كما فعلت في السنين الماضية ولذلك يخشى ان يزيد ضررها . ولكن غزارة الفيضان هذا العام قد تقنع الفلاحين بان ماء النيل كافٍ فلا يتهافتون على الافراط في ري القطن خوفًا من العطش وان فعلوا ذلك فارجح انهم يخلصون القطن من الضرر الذي كان يصيبهُ من العطش ومن الافراط في الري وقت الفيضان فتعادل الفائدة الحاصلة من ذلك الضرر الناتج من الدودة ويأتي الموسم كبيرًا وافيًا كالموسم الماضي او اقل منهُ قليلاً ولكن الاسعار الحاضرة تجعل ثمن الموسم الحاضر اقل كثيرًا من ثمن الموسم الماضي ولا امل بارتفاع الاسعار الاَّ اذا أصيب القطن الاميركي بآفة فقلَّ محصولهُ وحينئذٍ يستفيد الاميركيون انفسهم من ارتفاع الاسعار ويستفيد القطر المصري ايضًا

باب تدبير المنزل

قد تحد هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب المعاشرة

للاوربيين الذين تعاشرهم عادات يجرون عليها ويحسبون الإخلال بها من قلَّة الذوق ونقص التربية وكثير منها معقول ولا بدَّ من الاقتداء بهم فيهِ لمن يريد التشبه بهم . واذا كانت عاداتنا القومية تمنعنا من التشبه بهم فيجدر بنا ان نعرف عاداتهم حتى لا نخطئ في سلوكنا معهم اذا زرناهم او عاشرناهم ومن هذه العادات ما يأتي

اذا التقى رجل بامرأة من معارفهِ في الطريق وظهر على وجهها انها تريد ان تتكلم معهُ وجب عليهِ ان يدور ويرافقها وهي تتكلم معهُ لكي لا يوقفها في الطريق . ولها وحدها الحق ان تنهي الكلام معهُ وتأذن لهُ في الانصراف ولكن يجب عليها ان تختصر الكلام تمام الاختصار لكي لا تضطرهُ الى المشي معها طويلاً

اذا صعد رجل وامرأة في سلَّم او نزلا فيها وجب على الرجل ان يتوقف قليلاً لكي تسبقهُ المرأة في الصعود او النزول الاَّ اذا كان السلَّم واسعًا يسع الاثنين ليصعدا او ينزلا معًا بسهولة